



(٣٧٣) - (٣٩٨)

العدد الثاني  
والأربعون

الشرطة السرية القيصريّة (جهاز الأوخرانا) ودوره في حماية النظام الإمبراطوري الروسي  
(١٨٨١-١٩١٧)

م.د. نزار طاهر حسين الدليمي

وزارة التربية - المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الثالثة

nazartaher1980@gmail.com

### المستخلص:

يستعرض هذا البحث نشأة وتطور جهاز الأوخرانا بوصفه الأداة الأمنية الرئيسية لحماية النظام القيصري في الإمبراطورية الروسية في أثناء المدة (١٨٨١-١٩١٧)، وبيّن دوره في مواجهة وقمع الحركات الثورية والتنظيمات السرية الداخلية والخارجية وأساليبه الاستخبارية لحماية النظام القيصري، ولا سيما في أواخر القرن التاسع عشر بعد مقتل القيصر ألكسندر الثاني في عام ١٨٨١ وبداية القرن العشرين، ويظهر البحث تأثير الجهاز في العلاقة بين الدولة والمجتمع ودوره في الحفاظ على الاستقرار السياسي والأمني في البلاد، ويخلص البحث إلى أن جهاز الأوخرانا رغم تطور أدواته الأمنية، إلا أنه فشل في منع الانهيار النهائي للنظام القيصري، بسبب عمق الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فقد أسهمت أساليبه في تعميق تلك الأزمات التي انتهت بسقوط الإمبراطورية الروسية عام ١٩١٧، وأثبت البحث أن القمع وحده لا يكفي لمواجهة الأزمات البنوية.

الكلمات المفتاحية: جهاز الأوخرانا، الإمبراطورية الروسية، النظام القيصري، الحركات الثورية، الشرطة.



**The Tsarist Secret Police (Okhrana) and its Role in Protecting the  
Russian Imperial Regime  
(١٨٨١-١٩١٧)**

**Assistant Lecturer: Nizar Taher Hussein Al-Dulaimi**  
**Ministry of Education – General Directorate of Education, Baghdad,**  
**Al-Karkh Third District**  
**nazartaher1980@gmail.com**

**Abstract:**

This research examines the origins and development of the Okhrana apparatus as the main security tool for protecting the Tsarist regime in the Russian Empire during the period (1881–1917). It demonstrates its role in confronting and suppressing revolutionary movements and internal and external secret organizations, and its intelligence methods for protecting the Tsarist regime, especially in the late nineteenth century after the assassination of Tsar Alexander II in 1881 and the beginning of the twentieth century. The research shows the impact of the apparatus on the relationship between the state and society and its role in maintaining political and security stability in the country. The research concludes that despite the development of its security tools, the Okhrana apparatus failed to prevent the final collapse of the Tsarist regime due to the depth of the political, social and economic crises. Its methods contributed to deepening those crises that ended with the fall of the Russian Empire in 1917. The research proves that repression alone is not enough to confront structural crises.

Keywords: Okhrana apparatus, Russian Empire, Tsarist regime, revolutionary movements, police.

**المقدمة:**

شكّل الأمن السياسي أحد الركائز الأساسية لبنية الدولة في الإمبراطورية الروسية، إذ ارتبط استقرار النظام القيصري بقدرته على مراقبة المجتمع وضبط النشاطات المعارضة، ولا سيما بعد أن شهدت الإمبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر تصاعداً ملحوظاً في النشاط الثوري والإرهاب



السياسي، الأمر الذي دفع السلطة القيصرية إلى إنشاء جهاز أمني متخصص لمواجهة تلك التحديات. وفي ذات السياق تأسس جهاز الأوخرانا الذي مثل الشرطة السرية السياسية في الإمبراطورية الروسية، بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٨١، إذ تولى مهمة مراقبة النشاطات الثورية وقمع الحركات المعارضة للنظام القيصري.

جاء اختيار موضوع الدراسة من عام ١٨٨١، وهو العام الذي مثل تأسيس جهاز الأوخرانا عقب اغتيال القيصر ألكسندر الثاني بعد تصاعد الحركات الثورية، ليكون الأداة الاستخبارية في حماية الدولة عن طريق جمع المعلومات والمراقبة للحركات الثورية والمعارضين السياسيين، فيما شهد عام ١٩١٧ حل جهاز الأوخرانا الذي تزامن مع انهيار الإمبراطورية الروسية وصعود نظام جديد تمثل بالبلاشفة الذين عملوا على إعادة تشكيل مؤسسات الأمن وفق رؤية أيديولوجية مختلفة.

تتمثل الإشكالية الأساسية للبحث بأن جهاز الأوخرانا مع نجاحه استخبارياً في اختراق الحركات الثورية، إلا أنه فشل سياسياً في منع انهيار النظام القيصري بسبب عجزه عن معالجة جذور الأزمة الاجتماعية والسياسية. لذلك يبرز السؤال عن كيفية نشوء جهاز الأوخرانا؟ وإلى أي مدى تمكن من الحفاظ على استقرار النظام عندما تفاقمت الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؟

تكمن أهمية البحث في تحليل نشأة وتطور دور جهاز الأوخرانا في حماية النظام القيصري، ويدرس حدود فعاليته في مواجهة الأزمات الهيكلية التي عصفت بالإمبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويسعى إلى تفسير العلاقة بين النظام الأمني والتحول الاجتماعي، وبيان الكيفية التي انتقلت بها تقاليد العمل الأمني إلى المرحلة السوفيتية مع تأسيس جهاز التشيكا، ويناقش تأثير جهاز الأوخرانا في مسار الأحداث التي أدت إلى الثورة البلشفية وانهيار الإمبراطورية الروسية عام ١٩١٧. يستعرض البحث دراسة جهاز الأوخرانا في محاور ثلاثة، حمل المحور الأول عنوان: نشأة جهاز الأوخرانا وتطوره المؤسسي والتنظيمي (١٨٨١-١٩٠١)، وقد سلط الضوء على الأزمات التي مرت بها الإمبراطورية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر، ولا سيما اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٨١، ذلك الحدث الذي كان السبب وراء نشأة جهاز الأوخرانا، فيما أورد المحور الثاني الذي جاء بعنوان: جهاز الأوخرانا ودوره في مكافحة الحركات الثورية (١٩٠١-١٩٠٨) دور الجهاز والأساليب الأمنية والاستخبارية التي استعملها في مواجهة الحركات الثورية المعارضة للنظام، وأدرج المحور الثالث بعنوان: سقوط النظام القيصري ونهاية



جهاز الأوخرانا (١٩٠٨-١٩١٧)، إذ تطرق إلى الأزمات التي واجهتها الإمبراطورية الروسية مع بداية القرن العشرين وانتهت بتفكك جهاز الأوخرانا مع سقوط الحكم القيصري في عام ١٩١٧.

### المحور الأول: نشأة جهاز الأوخرانا وتطوره المؤسسي والتنظيمي (١٨٨١-١٩٠١)

جاء ظهور جهاز الأوخرانا نتيجة تحولات معقدة مرت بها الإمبراطورية الروسية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، تمثلت بتنامي الحركات الثورية من جهة وحماية النظام السياسي واستقراره في أوروبا من جهة أخرى، ولا سيما بعد أن دخلت الإمبراطورية الروسية مرحلة من الاضطراب الهيكلي بعد إصلاحات القيصر ألكسندر الثاني، التي ألغت نظام القنانة عام ١٨٦١، الأمر الذي أدى إلى التنامي الحضري المتسارع، ونشوء طبقة عاملة حضرية، واتساع الفجوة بين التحديث الاقتصادي والجمود السياسي إلى تحول المعارضة إلى العمل السري، مما أدى إلى ظهور تنظيمات راديكالية تبنت العنف السياسي كونه وسيلة للتغيير.

### أولاً: الجذور التاريخية والسياسية لنشأة جهاز الأوخرانا:

تعود نشأة الشرطة السياسية في روسيا إلى مراحل مبكرة من نشوء روسيا القيصرية، حين أسس القيصر إيفان الرابع ((قيصر روسي، ولد في عام ١٥٣٠ في موسكو، وقد توفي والده وهو في الثالثة من عمره، فألت الوصاية إلى والدته إيلينا Елена التي قررت وضعه تحت وصاية مجلس البويار، وقد أسهمت ظروف نشأته التي ألفت بظلالها السلبية على تكوين شخصيته إذ أصبح مستبداً ولا يتردد في اللجوء إلى أقسى العقوبات بحق من يخالفه، لذلك أطلق عليه لقب الرهيب للدلالة على الشدة والصرامة. عاش القيصر إيفان الرابع أواخر حياته في وضع مأساوي، إذ عانى من احباط نفسي بسبب قتله ابنه فاسيلي Василий على أثر مشادة كلامية بينهما، توفي في الثاني عشر من اذار ١٥٨٤.)) (المهداوي، ٢٠٢٠، ٤٤) Иван IV (١٥٣٣-١٥٨٤)، جهاز الأوبريتشنيينا Oprichnina ((نظام حكم قمعي أسسه القيصر إيفان الرابع بين الأعوام (١٥٦٥-١٥٧٢) قسم فيه روسيا إلى قسمين، أحدهما خاضع مباشرة لسلطة القيصر، والثانية بقيت تحت الإدارة التقليدية وقد اعتمدت الأوبريتشنيينا على جهاز خاص من الحرس عُرف بالأوبريتشنيكي، إذ مارس القمع



والمصادرة والنفي ضد طبقة البويار والنخب المحلية بهدف ترسيخ الحكم المطلق وتعزيز سلطة القيصر المركزية (( (Nikolay, 2026) في القرن السادس عشر بوصفه أداةً استثنائية استعملها لإخضاع النبلاء وتصفية المعارضين له وترسيخ حكمه المطلق (Ronald, 1970, 7). وقد مثل ذلك الجهاز سابقة مؤسسية لفكرة توظيف العنف المنظم وأجهزة المراقبة لحماية السلطة، وهو إرث استمر بأشكالٍ مختلفة في البنية السياسية للإمبراطورية الروسية. وقد أعيد استعمال ذلك التقليد في القرن التاسع عشر عن طريق تأسيس القسم الثالث التابع للديوان الإمبراطوري، الذي اضطلع بمهام الرقابة السياسية وتتبع النشاطات الفكرية والتنظيمية المعارضة، مما عكس انتقال الدولة من أدوات القمع التقليدية إلى جهاز بيروقراطي منظم للأمن السياسي (Иванов, 2023, 137).

شهدت الإمبراطورية الروسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تصاعداً ملموساً في النشاط الثوري، ولاسيما الحركة الشعبوية (الناوردنيك) Народник ((حركة فكرية وسياسية يسارية، ظهرت في سبعينيات القرن التاسع عشر في الإمبراطورية الروسية، آمنت بأن الفلاحين الروس هم أساس بناء الاشتراكية. سعت إلى نقل الثورة إلى الريف من أجل قلب النظام القيصري وتفاذي الرأسمالية. تأثرت تلك الحركة بظروف اجتماعية زراعية قاسية، إذ تطورت من التوعية السلمية إلى الاغتيالات السياسية (( (موتقي, ٢٠١٥, ١١) التي سعت إلى تحريض الفلاحين ودمجهم في مشروع تغيير اجتماعي جذري كان يستهدف البنية القيصرية. لذلك اتجهت بعض فصائل الحركة مع إخفاق الجهود الدعائية والتنظيمية السلمية في تحقيق اختراق واسع داخل الريف، نحو تبني العنف السياسي بوصفه وسيلة لتقويض النظام. كان من أبرز تجليات ذلك التحول ظهور منظمة إرادة الشعب Воля народа ((هي منظمة سياسية ثورية روسية سرية تأسست عام ١٨٧٩ في الإمبراطورية الروسية، كانت تهدف إلى إسقاط النظام القيصري وإقامة نظام دستوري أو جمهوري. تبنت أسلوب العمل الثوري المباشر والاغتيالات السياسية وسيلةً لتحقيق أهدافها. ومن أشهر عملياتها اغتيال القيصر ألكسندر الثاني عام ١٨٨١ في سانت بطرسبورغ، وهو الحدث الذي هز أركان الإمبراطورية الروسية وأدى إلى تشديد القبضة الأمنية. شكلت فروعاً لها في خمسين مدينة قبل أن يقضي عليها جهاز الأوخرانا (( (Volya, 1907, 1697-1759) التي عرفت بأسم نارودنايا فوليا Народная Воля، إذ انتهجت استراتيجية الاغتيال السياسي المنظم، وقد استهدفت شخصيات رفيعة في الدولة، مشيرةً إلى أن ضرب رأس السلطة سيؤدي إلى انهيار النظام أو إرغامه على الإصلاح (Thatcher, 2005, 44).



بلغ التصعيد ذروته باغتيال القيصر ألكسندر الثاني (1855-1881) (قيصر روسي: ولد في عام 1818 من أسرة رومانوف Романов، عُرف بإصلاحاته الكبرى ولاسيما مرسوم تحرير الأفتان عام 1861، وهو إصلاح محوري أنهى نظام القنانة في الإمبراطورية الروسية. شهد عهده سلسلة إصلاحات إدارية وقضائية وعسكرية وتعليمية هدفت إلى تحديث الدولة بعد هزيمة حرب القرم، لكنه واجه تصاعد الحركات الثورية، وانتهى حكمه باغتياله في سانت بطرسبورغ على يد منظمة إرادة الشعب عام 1881)) (الخفاجي، 2018) في الثالث عشر من آذار عام 1881، وهو حدث شكّل نقطة تحول مفصلية في علاقة الدولة بالمجتمع والمعارضة. فقد أحدث الاغتيال صدمة عميقة داخل النخبة الحاكمة، إذ كشف حدود أدوات الضبط التقليدية القائمة على الإدارة المحلية والشرطة العامة، وأظهر قدرة التنظيمات السرية على العمل في قلب العاصمة رغم القبضة الأمنية (Zuckerman, 1996, 73). ومن ثم ترسخ لدى السلطة تصور بأن الإمبراطورية الروسية كانت تواجه تهديداً وجودياً استدعى إعادة بناء منظومة الأمن السياسي على أسس أكثر تخصصاً وصرامة. وقد أعقب ذلك اعتقال القيصر ألكسندر الثالث (1881-1894)، (ولد في عام 1845 من أسرة رومانوف، اعتلى العرش في الثالث عشر من آذار عام 1881 بعد اغتيال والده ألكسندر الثاني، اشتهر بلقب صانع السلام، لعدم خوضه حرباً كبرى. أنتهج سياسة رجعية محافظة مضادة لسياسات والده الليبرالية. شهد عهده تحالفاً فرنسياً روسياً، واضطهاداً شديداً لليهود، توفي في عام 1894)) (Florinsky, 2025) الذي تبنى سياسة محافظة متشددة هدفت إلى إعادة ترسيخ المركزية القيصرية ومواجهة المدّ الثوري عن طريق توسيع أدوات القمع والمراقبة (Abbott, 2022, 15). وعلى أثر ذلك تأسس جهاز الأوخرانا بوصفه مؤسسة اختصت بحماية النظام القيصري من التهديدات الثورية الذين عرفوا بالأعداء الداخليين، وقد اعتمدت في تشكيلها على شبكة واسعة من المخبرين والعملاء السريين وأساليب الاختراق والملاحقة العابرة للحدود. وقد مثّل ذلك الجهاز نقلة نوعية في تاريخ الشرطة السياسية الروسية على مستوى الاحتراف والتنظيم وتعدد الصلاحيات (Daly, 1995, 603).

لم يكن الهدف من إنشاء جهاز الأوخرانا مقتصراً على حفظ الأمن العام أو مواجهة العنف الثوري فحسب، بل انصبّ في الأساس على حماية البنية الأيديولوجية والسياسية للحكم المطلق، ومنع انتقال الإمبراطورية الروسية إلى نموذج دستوري ليبرالي على غرار أوروبا الغربية. وبذلك ارتبط وجود الجهاز عضوياً بفكرة الدولة البوليسية التي رأت في السيطرة الأمنية الشاملة شرطاً ضرورياً لاستمرار



النظام، إذ أصبحت المراقبة والقمع جزءاً بنوياً من آليات الحكم لا مجرد استجابة ظرفية للأزمات (Waldron, 2023, 147).

### ثانياً: تأسيس جهاز الأوخرانا وبنيته التنظيمية:

مثل اغتيال القيصر ألكسندر الثاني نتيجة مباشرة لتصاعد النشاط الثوري في الإمبراطورية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر، إذ دفع ذلك الحدث الإمبراطورية الروسية إلى إعادة بناء منظومتها الأمنية على أسس جديدة (Minea, 2022, 339). وعلى ذلك الأساس جاء إنشاء جهاز الأوخرانا другой رسمياً في عام ١٨٨١، ضمن سلسلة من الإجراءات الاستثنائية لحماية النظام القيصري جرت في عهد القيصر ألكسندر الثالث، وقد فرضت تلك الأحداث على النظام القيصري إلى إعادة بناء منظومته الأمنية على أسس جديدة (Zhukhrai, 1991, 21)، إذ أوكلت مهمة حماية الدولة من المعارضة الداخلية إلى جهاز الأوخرانا، مع صلاحيات واسعة في الاعتقال والتحقيق والمراقبة، وبذلك ألحق جهاز الأوخرانا رسمياً منذ تأسيسه بوزارة الداخلية، إلا إنه تمتع باستقلالية واسعة مكنته من تجاوز القيود البيروقراطية (Lauchlan, 2002, 16).

تمتع جهاز الأوخرانا بسلطات واسعة تجاوزت الأطر القانونية التقليدية، مما جعله دولة داخل الدولة، إذ ركز في بداية تكوينه على مراقبة المنظمات الثورية، ومن ثم توسع لاحقاً لملاحقة الاشتراكيين الثوريين والماركسيين (Smith, 1967, 233)، وقد اتسمت البنية التنظيمية للجهاز بالمركزية الشديدة، إذ كانت القرارات الأساسية تصدر من الإدارة المركزية التي كان مقرها في سانت بطرسبورغ عاصمة الإمبراطورية الروسية، لضمان السيطرة السياسية المباشرة والسرية المؤسسية (Kronenbitter, 1997, 6)، فضلا عن فروع إقليمية في المدن الكبرى مثل موسكو ووارسو وأوديسا، ومكاتب خارجية في العواصم الأوروبية إذ أنشأت شبكة واسعة من العملاء السريين، لمراقبة نشاط المعارضين، ولا سيما في أوروبا الغربية التي تركز المنفيون السياسيون الروس فيها. واما ميزانيته فلم تكن معلنة، الأمر الذي صعّب الرقابة عليه، مما أضفى المرونة العملية له، فقد مُنح صلاحيات واسعة للتصرف من دون الرجوع إلى القضاء. وبذلك أسهم جهاز الأوخرانا في تطوير نظام أرشفة متقدم من أجل تتبع الناشطين السياسيين، شمل ملفاتهم الشخصية بصورة دقيقة، إذ



ضمت المعلومات الاجتماعية والفكرية والسلوكية للمشتبه بهم، وقد مثل ذلك شكلاً مبكراً من قواعد البيانات الأمنية (5, 2011, كودين).

شهد جهاز الأوخرانا توسعاً كبيراً في عهد القيصر نيكولاس الثاني (1894-1917)، (قيصر روسيا الأخير، من أسرة رومانوف، وُلد في عام 1868 في سانت بطرسبورغ. تولّى العرش عام 1894، وقد شهد عهده أحداثاً مفصلية مثل ثورة 1905 ودخول روسيا الحرب العالمية الأولى، وانتهى حكمه بثورة شباط/فبراير 1917 التي أجبرته على التنازل عن العرش. أُعدم مع عائلته عام 1918 بعد استيلاء البلاشفة على السلطة) (الدوان، 2011) إذ أصبح الأداة الأساسية للحفاظ على النظام القيصري في مواجهة المدّ الثوري المتصاعد، فضلا عن اعتماده على تقنيات متقدمة نسبياً تميزت بزيادة الاحترافية الاستخبارية، ولا سيما عن طريق اعتراض المراسلات، مراقبة البريد، التصوير السري، تحليل الخطوط، التنصت، والتجنيد الإجباري للمخبرين (Fuller, 1985, 49).

كان من أبرز السمات المؤسسية لتطور جهاز الأوخرانا، هو انتقاله من جهاز شرطة تقليدي إلى جهاز استخبارات شامل، وبذلك تحوّل من مفهوم الشرطة التقليدية إلى مفهوم الشرطة السياسية، التي استهدفت الأفكار والتنظيمات لا الجرائم الجنائية فحسب، فلم يكتفِ بمتابعة الشأن الداخلي بل وسّع نشاطه الاستخباري إلى الخارج، إذ شمل النشاط الثوري في الخارج، ولا سيما في باريس وجنيف، فقد نجح في اختراق عدد من التنظيمات الثورية، حتى أن بعض قادة تلك الحركات كانوا قد عملوا لحسابه، فضلا عن ذلك فقد تميز عمل الجهاز بقدرته على العمل خارج الإطار القانوني (Spiridovich, 1925, 116)، إذ لم تكن الاعتقالات التي مارسها مبنية على قرار إداري أو أمني، فقد استعملت عمليات التعذيب النفسي والجسدي وحتى النفي ولا سيما إلى سيبيريا من دون محاكمات رسمية، الأمر الذي أسهم في خلق مناخ من الخوف والشك داخل المجتمع الروسي، إلا أنه زاد في الوقت نفسه من حدة العداة الشعبي للنظام (Yaney, 1982, 106).

يتضح من ذلك أن جهاز الأوخرانا أدى دوراً كبيراً في مراقبة التيارات الفكرية داخل الجامعات والصحافة، إدراكاً منه إلى أن التهديد لم يعد عسكرياً فقط بل أيديولوجياً أيضاً، الأمر الذي أوضح انتقال الدولة القيصرية من قمع الأفعال إلى قمع الأفكار.



### ثالثاً: جهاز الأوخرانا وتأثيره على المجتمع الروسي:

شكل ظهور جهاز الأوخرانا نقطة تحوّل حاسمة في العلاقة بين الدولة والمجتمع، إذ لم يقتصر دوره على كونه أداة أمنية، بل أصبح عاملاً بنويًا كان له الأثر الكبير في تشكيل الحياة الاجتماعية والسياسية، فقد أدى انتشاره الواسع إلى خلق مناخ من الخوف والشك المتبادل، ترسّخ في الاعتقاد في داخل المجتمع الروسي بوجود مخبرين في مختلف الأوساط، الأمر الذي أدى إلى تآكل الثقة الاجتماعية وتفكك الروابط بين الأفراد والجماعات، إلا أنّ ذلك القمع لم يحقق الاستقرار الذي سعت إليه السلطة، بل أسفر عن نتائج عكسية تمثلت في دفع المعارضة إلى مزيد من السرية والتنظيم، وتعزيز الشعور بالظلمة لدى الفئات المثقفة، فضلاً عن إسهامه في انتشار الأفكار الثورية. وبذلك غدا الجهاز جزءاً من الأزمة البنوية للنظام القيصري بدلاً من أن يكون أداة لمعالجتها، إذ ركّز على اعتماد النظام القيصري على الأدوات الأمنية والقمعية في التعامل مع مظاهر الاضطراب السياسي، عن طريق ملاحقة المعارضين وفرض الرقابة والاعتقالات من دون التصدي للأسباب الاجتماعية والسياسية العميقة التي كانت تقف وراء تلك الاضطرابات.

جسد ظهور جهاز الأوخرانا مرحلة انتقالية من الحكم التقليدي إلى الدولة البيروقراطية المعاصرة، إذ سعت السلطة إلى توظيف أدوات إدارية وتقنية لضبط المجتمع، إلا أنها بقيت أسيرة الذهنية الاستبدادية، وقد بينّ الجهاز التناقض الكبير بين التحديث الاقتصادي والتأخر السياسي، الذي ميّز التجربة القيصرية قبيل الثورة الروسية عام ١٩١٧، فبينما شرعت الإمبراطورية الروسية في بناء السكك الحديدية وتوسيع الصناعة، كانت قد اعتمدت في الوقت نفسه على القمع للحفاظ على النظام القائم. وبذلك فإن نشأة جهاز الأوخرانا جاء عبر ثلاثة مستويات تحليلية مترابطة، تمثلت بالمستوى البنوي المرتبط بأزمة الدولة القيصرية وعجزها عن الإصلاح السياسي، والمستوى الاجتماعي الذي تمثّل في صعود قوى وطبقات جديدة كانت تطالب بالمشاركة، فضلاً عن المستوى الفكري الذي تجلّى في انتشار الأيديولوجيات الثورية. وعلى ذلك الأساس، لم يكن تأسيس الجهاز مؤشراً على قوة النظام القيصري في نهايات القرن التاسع عشر بقدر ما كان دليلاً على هشاشته، إذ إن الاعتماد المكثف على القمع الأمني غالباً ما عكس ضعف الشرعية السياسية وبذلك تحول جهاز الأمن من أداة للاستقرار إلى عامل في تسريع الانفجار الثوري (Geoffrey, 1993, 211).



تكشف دراسة نشأة جهاز الأوخرانا، أنه لم يكن مجرد جهازاً أمنياً، بل كان مؤسسة سياسية بامتياز بفضل استعماله شبكة واسعة من المخبرين والعلماء السريين، فقد مثل نموذجاً مبكراً للدولة البوليسية الحديثة، تجسدت في محاولة النظام القيصري البقاء في مواجهة تحولات عميقة لم يستطع استيعابها، وقد نجح مؤقتاً في احتواء بعض التهديدات، إلا أنه فشل في منع الثورة العارمة التي أنهت الحكم القيصري عام ١٩١٧.

### المحور الثاني: جهاز الأوخرانا ودوره في مكافحة الحركات الثورية (١٩٠١-١٩٠٨)

إذا كانت نشأة جهاز الأوخرانا قد ارتبطت بالأزمات التي مرت بها الإمبراطورية الروسية في نهاية القرن التاسع عشر، فإن أهميته التاريخية تجلت في أساليب عمله التي شكّلت نموذجاً مبكراً للأجهزة الأمنية الحديثة في مواجهة الحركات الثورية، ولا سيما أن ذلك الجهاز اعتمد على منظومة معقدة من الأساليب الأمنية والاستخبارية، استعمل فيها التقنيات الاستخبارية والقمعية والاختراقية لمواجهة خصوم النظام، جمعت بين أدوات الشرطة التقليدية وأساليب الحرب السرية ضد التنظيمات السياسية. وتكشف دراسة تلك الأساليب عن طبيعة الصراع بين الدولة والمجتمع في الإمبراطورية الروسية أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين، وتبرز حدود القوة الأمنية في مواجهة التحولات الاجتماعية العميقة.

#### أولاً: المراقبة الشاملة والنظام الأمني والاستخباري:

شهدت الإمبراطورية الروسية في أواخر القرن التاسع عشر تصاعداً خطيراً في موجة الاغتيالات السياسية التي نفذتها التنظيمات الثورية، ولا سيما منظمة إرادة الشعب، الأمر الذي دفع السلطات الأمنية إلى توسيع صلاحيات عمل جهاز الأوخرانا وتعزيز دوره في حماية النظام، وقد مثل ذلك التصعيد أحد أبرز مبررات الانتقال نحو بناء دولة أمنية قائمة على المراقبة المكثفة والردع الاستباقي (Andrew, 1990, 51)، وعلى أثر ذلك أسس جهاز الأوخرانا شبكة مراقبة واسعة النطاق امتدت إلى مختلف فئات المجتمع، شملت الطلاب والعمال والمتقنين ورجال الدين، واعتمدت بصورة أساسية على جهاز من المخبرين السريين الذين جرى تجنيدهم إما مقابل مكافآت مالية أو تحت



ضغط الإكراه، فضلا عن ذلك فقد استعمل وسائل تقنية متقدمة نسبياً بمقاييس ذلك العصر، مثل اعتراض المراسلات البريدية والبرقيات، ما مكنه من تتبع الاتصالات بين الناشطين ورصد تحركاتهم.

قامت فلسفة عمل جهاز الأوخرانا على مبدأ المراقبة الشاملة بوصفه الركيزة الأساسية لضمان أمن الدولة، إذ لم يقتصر هدفه على ملاحقة الجرائم السياسية بعد وقوعها، بل انصبّ على منع تشكل النشاط الثوري قبل ظهوره إلى العلن، لذلك جرى إنشاء منظومة رقابية تغلغت في النسيج الاجتماعي، لم يكن هدفها العمال والطلاب والمتقنين والأقليات القومية فحسب، بل حتى بعض الأوساط الحكومية المشتبه بتعاطفها مع المعارضة (Silver, 1938, 38). وقد تركزت عمليات الرصد بصورة خاصة في المراكز الحضرية والصناعية الكبرى، مثل موسكو وسانت بطرسبورغ، إذ شهدت تلك المدن نمواً سريعاً للطبقة العاملة وتزايداً في نشاط الحركات الاشتراكية. وبدوره كان عمل الجهاز المراقبة السرية الدقيقة للاجتماعات العامة والمقاهي والنوادي الثقافية والجامعات، إدراكاً منه أن تلك الفضاءات كانت تمثل حواضن أساسية تداولت الأفكار المعارضة وأسهمت في تشكيل الوعي الثوري.

وعلى الصعيد التقني، طور جهاز الأوخرانا نظاماً متقدماً لاعتراض الرسائل البريدية، إذ كانت المراسلات تُفتح سراً وتُنسخ أو تُصوّر ثم تُعاد إلى أصحابها من دون علمهم، الأمر الذي أتاح للجهاز رسم خرائط دقيقة لشبكات العلاقات والتنظيم بين الناشطين، وقد أسهمت تلك الممارسات في تحويل العمل الاستخباري إلى أداة منهجية لإدارة المجتمع ومراقبته.

يبدو مما تقدم أن ذلك النهج عكس انتقال النظام القيصري من نموذج الضبط اللاحق للجريمة إلى العلوم الثورية والنفسية وطرائق التجسس للعلوم الأساسية. نموذج الوقاية الاستباقية، وهو تحول نوعي في تاريخ الأجهزة الأمنية الحديثة، إذ أصبح الأمن يُبنى على أساس المعرفة المسبقة بالشبكات الاجتماعية والسياسية، لا على مجرد الاستجابة للأحداث بعد وقوعها.



### ثانياً: جهاز الأوخرانا وأساليبه في اختراق التنظيمات الثورية:

شكل اختراق التنظيمات الثورية والعمل السري القاعدة الأساسية في استراتيجية جهاز الأوخرانا لمواجهة المعارضة السياسية في أواخر العهد القيصري، إذ أدركت السلطات القيصرية أن تفكيك التنظيمات السرية لا يتحقق باللجوء إلى أدوات القمع الخارجي وحدها، بل يتطلب اختراقها استخبارياً ومتابعة شبكاتها التنظيمية وإضعاف بنيتها الداخلية (Dziak, 1984, 34)، لذلك اعتمد الجهاز سياسة منهجية لتجنيد العملاء داخل الأحزاب الثورية، تمثلت باستعمال الإغراءات المالية أو الضغط والابتزاز، الأمر الذي مكّنه من بناء شبكة واسعة من المخبرين من مختلف الطبقات الاجتماعية، وقد نجحت تلك السياسة في اختراق أبرز التنظيمات، ولا سيما حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي الروسي (روسийская социал-демократическая рабочая партия، حزب) (حزب) ماركسي، تأسس عام ١٨٩٨، كان هدفه تنظيم الطبقة العاملة الروسية وقيادة النضال الثوري ضد النظام القيصري. وقد شكّل الإطار السياسي الأساسي للحركة الاشتراكية الثورية في روسيا القيصرية، أنقسم عام ١٩٠٣ إلى جناحين: البلاشفة بقيادة لينين، والمنشفيك بقيادة مارتوف (Martov). مثلّ الحزب الجناح البلشفي لاحقاً، إذ شكّل النواة المؤسسة للحزب الشيوعي السوفيتي بعد ثورة أكتوبر/ تشرين الأول (١٩١٧). (Richard, 1990, 31) الذي تفرّعت منه تيارات البلاشفة (большевики، (تيار ثوري متطرف انشق عن حزب العمل الديمقراطي الاشتراكي الروسي عام ١٩٠٣ بقيادة فلاديمير لينين، والبلاشفة تعني الأغلبية باللغة الروسية. قادوا ثورة أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩١٧، وأسسوا جمهورية روسيا الاشتراكية التي تحولت لاحقاً للاتحاد السوفيتي بعد حرب أهلية طاحنة)) (إيناس، ٢٠٢٣، ٧٠٦) والمناشفة (Меньшевики، (تيار سياسي روسي نشأ داخل الحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي عام ١٩٠٣، بعد انقسام الحزب إلى البلاشفة والمناشفة. تبنّى المناشفة نهجاً ديمقراطياً مرحلياً للثورة، مؤكداً على ضرورة الثورة البرجوازية أولاً قبل الاشتراكية، ودعوا إلى عضوية حزبية واسعة ومرنة بدل التنظيم المركزي الصارم)) (Service, 2003, 123) بقيادة فلاديمير لينين (Владимир Ленин (١٩١٧-١٩٢٤)). (سياسي روسي وزعيم الفكر الشيوعي، ولد في عام ١٨٧٠، في مدينة اوليفسك (Ульяевск، درس في كلية الحقوق في جامعة قازان عام ١٨٩١، عمل بعد تخرجه في مجال المحاماة. مارس العمل السياسي منذ صغره، لذلك كان عرضه للملاحقة والاعتقال من قبل السلطات القيصرية، إذ سجن لمدة خمس



سنوات، وفي عام ١٨٩٣ أنتقل إلى العاصمة سانت بطرسبورغ وبسبب كتاباته عن علم الاقتصاد الماركسي نُفي إلى سيبيريا، ثم سافر في عام ١٩٠٠ إلى سويسرا، وفي عام ١٩٠٥ اختير لزعامة حزب العمال الديمقراطي الاشتراكي الروسي. عاد إلى روسيا في عام ١٩١٧، ودعا إلى ثورة شعبية لإنهاء عهد القيصرية وإنشاء حكومة بلشفية جديدة. أصبح زعيماً لروسيا في أثناء المدة (١٩١٧-١٩٢٤)، (توفي في عام (( (الركابي، ٢٠١٧) كان من أشهر حالات الاختراق العميل رومان مالينوفسكي Роман Малиновский (١٨٧٦-١٩١٨)، ((عميل سري لجهاز الأورخانا، ولد في عام ١٨٧٦، في مقاطعة بلوتسك Блокус الواقعة في الجزء البولندي من الإمبراطورية الروسية، عُدَّ أبرز مثال على اختراق الشرطة القيصريّة للحركات الثورية الروسية في أوائل القرن العشرين. اعتُقل من قبل البلاشفة بعد ثورة أكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٧ بعد انكشاف دوره كونه عميلاً لجهاز الأورخانا. حوكم بالإعدام بتهمة الخيانة عام ١٩١٨.)) (Elwood, 1977) الذي وصل إلى موقع قيادي داخل الحركة، ما أتاح للجهاز الاطلاع المباشر على الخطط التنظيمية وإحباط العديد من العمليات قبل تنفيذها، فضلاً عن ذلك فقد تمكن جهاز الأورخانا من اختراق الحزب الاشتراكي الثوري، وهو ما سمح لها بتوجيه ضربات استباقية لقياداته (Weissman, 1985, 65).

لم يقتصر النشاط الاستخباري في داخل الإمبراطورية الروسية فحسب، بل أستحدث جهاز الأورخانا مكاتب سرية في مدن أوروبية عدة، ولا سيما في باريس ولندن وبرلين، لمراقبة المنفيين الروس وتعقب نشاطهم السياسي، مما منح الجهاز القدرة على كشف المخططات قبل تنفيذها. وإلى جانب ذلك استعمل جهاز الأورخانا وسائل قمعية مباشرة، تمثلت في الاعتقال الإداري الذي كان يجري من دون حكم قضائي، فضلاً عن نفي المعارضين إلى المناطق النائية، ولا سيما سيبيريا. وقد شكّلت تلك السياسة أداة ردع فعالة على المدى القصير، إذ أدت إلى تفكيك العديد من الشبكات الثورية وتعطيل نشاطها، إلا أن النفي السياسي تحوّل في الوقت نفسه إلى بيئة لإعادة إنتاج الفكر المعارض، إذ أقام المنفيون شبكات تواصل أسهمت في تعزيز التضامن بينهم وتحويلهم إلى رموز نضالية. وإلى جانب ذلك فقد استعمل جهاز الأورخانا أساليب أخرى غير القمع المباشر، تمثلت بالحرب النفسية لتفكيك التنظيمات من الداخل (Okhrana, 2013)، فقد عمل الجهاز على نشر الشائعات داخل الأوساط الثورية لإثارة الشكوك بين الأعضاء، وتشويه سمعة القيادات المعارضة عن طريق الدعاية، فضلاً عن دعم منظمات موالية للنظام بهدف سحب القاعدة الاجتماعية من الحركات الثورية. وقد أكّدت تلك الإجراءات طبيعة النظام القيصري الذي فضّل الحلول الأمنية على الإصلاح



السياسي، الأمر الذي أسهم في تعميق الهوة بين الدولة والمجتمع المعارض ( Channon, 1995, ) (113).

يتضح من ذلك أن جهاز الأوخرانا حقق نجاحاتٍ ملموسة في إحباط العديد من العمليات الثورية واعتقال قيادات بارزة، إلا أنه أخفق في القضاء على الحركة الثورية التي استمرت في التوسع حتى سقوط النظام القيصري، فضلاً عن ذلك فقد كشفت تلك التجربة أن الاختراق الأمني مع فعاليته التكتيكية، لم يكن كافياً لمعالجة الأزمات البنوية السياسية والاجتماعية التي كانت تعصف بالإمبراطورية الروسية، بل أسهمت بعض أساليبه في زيادة حدة التوتر وتسريع الانفجار الثوري.

#### ثالثاً: النشاطات الخارجية لجهاز الأوخرانا وملاحقة المعارضين:

أقام عدد كبير من المنفيين السياسيين الروس في الكثير من الدول الأوروبية، ولا سيما تلك المجموعات التي كانت تنشط في فرنسا وسويسرا وألمانيا، لذلك أسس جهاز الأوخرانا فروعاً له خارج البلاد لمراقبة نشاطات الثوريين الروس، وكان من أشهر رؤساء الخدمة الخارجية بيتر راتشكوفسكي ((رجل أمن روسي، وُلد في عام ١٨٥٣ في مدينة دوبايساري Дубэсари في محافظة خيرسون Херсон في الإمبراطورية الروسية، شغل منصب رئيس فرع الأوخرانا الخارجي في باريس في أثناء الأعوام (١٨٨٥-١٩٠٢) ، وذلك في ذروة نشاط المنفيين الروس في أوروبا الغربية . كان هدفه الأساسي هو اختراق وتقويض الحركة الثورية الروسية في الخارج عن طريق شبكات من العملاء السريين الذين زرعهم داخل التنظيمات المعارضة في فرنسا وسويسرا وألمانيا، فضلاً عن جمع المعلومات والتقارير لصالح الجهاز الأمني الروسي، إلا أن الدور الأمني الذي قام به لم يكن كافياً لإيقاف الحركة الثورية الروسية، التي امتدت جذورها داخل المجتمع الروسي وازدادت تطوراً مع مرور الوقت. توفي في عام ١٩١٠)) (Fischer, 1997, 36)، الذي قاد فرع الأوخرانا في باريس في أثناء الأعوام (١٨٨٤-١٩٠٢) (Okhrana, 1993)، إذ وظف شبكة من العملاء للاختراق والمراقبة، استهدف فيها قيادات الجماعات الاشتراكية الثورية والعمالية. وقد استعملت تلك المكاتب شبكة من العملاء السريين والمخبرين لاقتحام الخلايا الثورية، وجمع المعلومات حول التمويل والاتصالات والدعاية، وشملت عملياتهم التخطيط لعمليات استفزازية كان الهدف منها تفكيك التنظيمات المعارضة أو تسليم أعضائها إلى السلطات الأوروبية المعنية ( Prokhrov, 1983, ) (43). لذلك لم يكن عمل جهاز الأوخرانا في أوروبا معزولاً عن السياق الأمني الدولي، بل كان هنالك تعاوناً واضحاً بين تلك المكاتب مع أجهزة أمنية أوروبية، ولا سيما الشرطة الفرنسية والبوليس



السويسري، لتبادل المعلومات وملاحقة الثوار، الأمر الذي جسّد البعد الدولي للصراع بين الإمبراطورية الروسية والحركات الثورية العابرة للحدود.

واجه جهاز الأوخرانا اختباراً صعباً مع بداية القرن العشرين ، ولا سيما بعد اندلاع ثورة ١٩٠٥ ((حركة ثورية حدثت يوم الأحد التاسع من كانون الثاني عام ١٩٠٥، الذي سُمي بالأحد الدامي، في سانت بطرسبورغ، احتجاجاً على سياسات القيصر نيكولاس الثاني، عندما أطلقت القوات الأمنية النار على مظاهرة سلمية للعمال، مما أدى إلى سقوط مئات القتلى والجرحى، وقد جاءت تلك الأحداث نتيجة للهزيمة التي تكبدها الإمبراطورية الروسية في الحرب الروسية- اليابانية (١٩٠٤-١٩٠٥)، وتفاقم الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والاستبداد السياسي الذي واجهته الإمبراطورية. تمثلت أحداث الثورة بالإضرابات العامة والانتفاضات الفلاحية والتمردات العسكرية التي أجبرت القيصر نيكولاس الثاني على إصدار إعلان تشرين الأول/أكتوبر الذي نص على منح بعض الحريات المدنية وإنشاء مجلس الدولة التشريعي (الدوما) وإنقاذ النظام القيصري من الانهيار الكامل)) (عمران، ٢٠١٦، ٢٢)، إذ عجز عن احتواء تلك الثورة، رغم نجاحه في تفكيك بعض التنظيمات، ولا سيما بعد أن نجح في اختراق الكثير من شبكات المعارضة وأثر في تعطيل بعض عملياتهم في أثناء الأعوام (١٩٠١-١٩٠٨)، إلا أن تلك الأساليب لم تحقق هدف القضاء النهائي على الحركة الثورية لأسباب تمثلت في الأزمات البنوية التي واجهها النظام القيصري في الداخل، التي تمثلت باستمرار الأزمات الاجتماعية والاقتصادية وتوسع الطبقة العاملة وزيادة الاستياء من النظام القيصري، مما أدى إلى خلق بيئة خصبة للتجنيد الثوري، وانتشار الأفكار الراديكالية التي تمثلت بأفكار الاشتراكية واليسار المتطرف التي تزايد انتشارها لدى الفئات الشعبية في تلك المدة (Johnson, 1971, 81)، الأمر الذي جعل القمع الأمني وحده غير قادر على جذبها أو إخمادها، فضلاً عن اللجوء إلى أساليب سرية وعنيفة، إذ دفع الضغط الأمني المعارضين إلى تبني العمل السري والعنيف كونه الوسيلة الأفضل للبقاء والاستمرارية، مما ولد بدوره موجات من النشاطات التي صعبت على الجهاز الأمني الإمبراطوري مواجهتها وحده. ومهما يكن من الأمر فإن التفوق الأمني المؤقت الذي ناله فرع الخارجية لم يوقف الحراك الثوري، بل أسهم في تحوله إلى شبكة أكثر تعقيداً وسرية.

تكشف دراسة وأساليب عمل جهاز الأوخرانا عن طبيعة الصراع بين النظام القيصري والحركات الثورية كونه كان صراعاً بين سلطة سعت إلى البقاء بأي ثمن ومجتمع أتجه نحو التغيير. وقد



أظهرت تلك التجربة أن الاعتماد على المراقبة والقمع والاختراق قد وفر استقراراً مؤقتاً، إلا أنه لم يمنع التغييرات السياسية والاجتماعية العميقة التي واجهتها الإمبراطورية الروسية.

### المحور الثالث: سقوط النظام القيصري ونهاية جهاز الأوخرانا (١٩٠٨-١٩١٧)

واجهت الإمبراطورية الروسية مع بداية القرن العشرين مرحلة من الأزمات المركبة على المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية، انعكست سلباً على أداء جهاز الأوخرانا ووظائفه الأمنية، إذ أدى الضغط المتزايد إلى تراجع قدرته على السيطرة، فضلاً عن الفساد الإداري الذي أضعف فعالياته بشكل كبير، ولا سيما بعد أن تكبد الجيش الروسي خسائر فادحة في جبهات الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨)، إذ تعرضت خطوط الإمداد والتموين إلى اضطرابات واسعة أدت إلى استنزاف الموارد البشرية والمادية للدولة وتوجيه معظم قدراتها نحو المجهود الحربي على حساب الأجهزة الداخلية، فلم تعد أدوات القمع والمراقبة كافية لضبط المجتمع، الذي ازداد احتقاناً وانهياراً آنذاك، الأمر الذي مهد الطريق لتآكل سلطة النظام نفسه، وانتهى بتفكك الجهاز الأمني مع سقوط الحكم القيصري في عام ١٩١٧.

### أولاً: جهاز الأوخرانا وأزمات الإمبراطورية الروسية قبيل الثورة البلشفية عام ١٩١٧:

دخلت الإمبراطورية الروسية منذ مطلع القرن العشرين بتناقضات هيكلية حادة، تمثلت بتسارع التحديث الاقتصادي واستمرار الجمود السياسي القائم على الحكم المطلق. ومع توسع النمو الصناعي والتطور العمراني وازدياد حجم الطبقة العاملة، إلا أن النظام السياسي ظل مغلقاً أمام المشاركة الشعبية، الأمر الذي عمق الفجوة بين الدولة والمجتمع. وفي ذات السياق، كان جهاز الأوخرانا الأداة الأساسية التي اعتمدت عليها الدولة للسيطرة على المجتمع وتوجيهه ومنع انتشار المعارضة، وهو ما عكس في الوقت ذاته ضعف المؤسسات التمثيلية وعجز النظام عن استيعاب التحولات الاجتماعية المتسارعة (Jonathan, 2001, 137). وقد تزامنت تلك المرحلة مع مدة حكم القيصر ألكسندر نيكولاس الثاني، التي اتسمت بالتردد السياسي والاعتماد المتزايد على الحلول الأمنية بدلاً من الإصلاحات البنوية. لذلك وجد جهاز الأوخرانا نفسه في مواجهة حركة اجتماعية أخذت في الاتساع، تجاوزت في طبيعتها وأساليبها الأطر التقليدية التي اعتاد الجهاز التعامل معها



عن طريق الاختراق والمراقبة والاعتقال، ومن الجدير بالذكر أن ثورة ١٩٠٥ كانت قد شكّلت أول اختبار حقيقي لقدرة الجهاز على حماية النظام القيصري في خضم الأحداث التي شهدتها الإمبراطورية الروسية في بداية القرن العشرين، ولا سيما بعد أن اندلعت موجة واسعة من الإضرابات العمالية والتمردات العسكرية والانتفاضات الفلاحية، التي كشفت محدودية قدرة الإمبراطورية الروسية على احتواء احتجاجات جماهيرية بذلك الحجم. ومع نجاح جهاز الأوخرانا في اعتقال أعداد كبيرة من الناشطين السياسيين وتفكيك بعض التنظيمات السرية، إلا أنها لم تتمكن من السيطرة على الحركة الشعبية، لأن الثورة لم تكن مؤامرة نخبوية يمكن القضاء عليها بضرب قياداتها، بل كانت انفجاراً اجتماعياً شاملاً غدّته الأزمات الاقتصادية والسياسية التي مرت بها البلاد في تلك المدة، إذ أسهم العنف الذي مارسه السلطات، في تعميق الفجوة بين الدولة والمجتمع وتقويض ما تبقى من شرعية النظام. وبدلاً من أن تؤدي القبضة الأمنية إلى الاستقرار، تحول جهاز الأوخرانا تدريجياً إلى عامل تأجيج للصراع، إذ عززت سياساته القمعية مشاعر السخط ودفعت قطاعات كبيرة من المجتمع الروسي نحو تبني العمل الثوري. ومع النجاح الذي حققه جهاز الأوخرانا في إبطاء زخم الحركة الثورية مؤقتاً، إلا أنه فشل في معالجة جذورها الاجتماعية والاقتصادية، فضلاً عن أن اعتماده على العنف المفرط أسهم في تآكل شرعية النظام ذاته (Geifman, 1993, 23).

ويمكن القول إن جهاز الأوخرانا كان في مواجهة أزمة دولة شاملة تجاوزت قدرات جهاز أمني مهما بلغ اتساعه على الاحتواء والمعالجة، الأمر الذي مهد الطريق لانتهيار النظام القيصري وسقوط أدواته الأمنية معه.

### مجلة العلوم الأساسية للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

#### ثانياً: الحرب العالمية الأولى وانتهيار القدرات الأمنية لجهاز الأوخرانا:

دخلت الإمبراطورية الروسية مع اندلاع الحرب العالمية الأولى مرحلة جديدة من الاستنزاف الشامل، إذ أدت التهديدات العسكرية والأزمات الداخلية إلى تقويض تماسك الدولة ومؤسساتها، فضلاً عن ذلك فقد أدى طول أمد الحرب وكلفتها البشرية والمادية الباهظة إلى إنهاء الاقتصاد الروسي، فتدهورت القدرة الإنتاجية، وارتفعت معدلات التضخم وتفاقت أزمة النقل (Bryson, 2025, 116)، الأمر الذي أدى إلى نقص حاد في المواد الغذائية والوقود في داخل المدن الكبرى. ومع تراجع مستوى المعيشة وانتشار البطالة والفقر، اتسعت دائرة السخط الشعبي، مما تسبب في أضعاف ثقة المجتمع بالحكومة وعمق الشعور بعجزها عن إدارة شؤون البلاد في زمن الحرب.



شهدت تلك المدة تحديات غير مسبقة واجهها جهاز الأوخرانا، فقد أدى انخراط ملايين الجنود الروس في جبهات القتال إلى استنزاف القوى البشرية وأضعاف السيطرة الأمنية في داخل المراكز الحضرية، في حين أدى توجيه الموارد نحو المجهود الحربي إلى تقليص الإمكانيات المتاحة للأجهزة الداخلية (Dziak, 1988, 31)، فضلا عن ذلك أدى تصاعد الاحتجاجات العمالية والاضطرابات الاجتماعية إلى صعوبة تمييز جهاز الأوخرانا بين النشاط الثوري المنظم والانفجارات الشعبية العفوية التي نتجت عن الجوع والتدهور الاقتصادي، وهو ما أربك آليات المراقبة التقليدية القائمة على تتبع التنظيمات السرية واختراقها (Wolfe, 1955, 536).

وجد جهاز الأوخرانا نفسه أمام معادلة صعبة وتحديات متزايدة، إذ كان مطالباً بالحفاظ على الأمن الداخلي، في وقت كانت فيه الإمبراطورية قد تعرضت إلى استنزاف متواصل وفقدان تدريجي للشرعية، ومع تفاقم الفوضى وتراجع الثقة بالحكومة، تضاعفت قدرة الجهاز على ضبط الأوضاع الأمنية في الداخل، ولا سيما أن فعالية الأجهزة الأمنية ارتبطت بوجود دولة مستقرة نسبياً قادرة على توفير الموارد والدعم السياسي، إلا أن الإمبراطورية الروسية كانت قد دخلت مرحلة الانهيار البيئي، بعد أن فقدت تلك الأجهزة قدرتها على العمل بكفاءة رغم ما امتلكته من خبرة وأدوات قمعية.

تكشف لنا دراسة تلك المرحلة أن الأزمة لم تكن أمنية بحتة، بل كانت أزمة دولة شاملة تجاوزت حدود المعالجة الأمنية. إذ أن الحرب العالمية الأولى لم تؤدِّ فقط إلى إضعاف الأداء الاقتصادي والعسكري، بل أسهمت أيضاً في تقويض الأسس التي قام عليها النظام القيصري، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على محدودية قدرة جهاز الأوخرانا على السيطرة، مما مهد الطريق لانفجار الأوضاع الثورية وسقوط النظام القيصري. وطراق التدريس للعلوم الأساسية

ثالثاً: ثورة شباط/ فبراير ١٩١٧ وانهيار جهاز الأوخرانا:

دخلت الإمبراطورية الروسية مع اندلاع ثورة شباط/ فبراير ١٩١٧ في العاصمة بتروغراد Petrograd، مرحلة الانهيار السريع، بعد أن اتسعت الاحتجاجات الشعبية إذ انضمت وحدات من الجيش إلى المتظاهرين، مما أفقد النظام القيصري أدواته القمعية الأساسية (Figes, 1998, 15). وفي خضم تلك الأحداث المتسارعة والتفكك المفاجئ لمؤسسات الدولة، كان جهاز الأوخرانا من أوائل المؤسسات التي استهدفتها الحشود الثائرة كونه رمزاً للقمع السياسي، إذ جرى اقتحام مقراته،



وأحرقت أجزاءً كبيرة من أرشيفه السري، وكُشفت شبكات واسعة من المخبرين والعملاء، فضلاً عن ذلك فقد تعرّض عدد من ضباطه للاعتقال فيما فضّل القسم الآخر الفرار خارج البلاد، الأمر الذي أدى إلى شلّ قدرته على العمل في أثناء أيام قليلة من اندلاع الثورة.

مثّلت تلك الأحداث النهاية الفعلية لأحد أكثر الأجهزة الأمنية نفوذاً في أوروبا آنذاك، إذ لم يكن انهياره مجرد تفكك إداري، بل كان تعبيراً عن سقوط البنية السياسية التي استمدّت منها شرعيته وسلطته، وأثبتت أيضاً أن مصير جهاز الأوخرانا قد جسّد بصورة رمزية انهيار الإمبراطورية الروسية نفسها، لأن الجهاز كان يعتمد في فعاليته على وجود نظام مركزي قوي قادر على دعمه سياسياً ومادياً (Сизенко, 2010, 312). فعقب سقوط النظام القيصري جرى حل جهاز الأوخرانا رسمياً ضمن عملية تفكيك مؤسسات النظام القديم، وبدأت على أثرها مرحلة جديدة في تاريخ الأمن السياسي الروسي مع صعود القوى الثورية إلى السلطة. فبعد استيلاء البلاشفة على الحكم عام ١٩١٧، أنشئ جهاز التشيكا Чехия ((هو أول جهاز أمني أنشأه البلاشفة بعد الثورة البلشفية، تأسس في العشرين من كانون الأول ١٩١٧ برئاسة فيليكس دزرجينسكي Феликс Дзержинский بقرار من قيادة فلاديمير لينين، وكان أسمه الكامل "اللجنة الاستثنائية لعموم روسيا لمكافحة الثورة المضادة والتخريب". كان الهدف منه ملاحقة المعارضين السياسيين وأعداء الثورة البلشفية، ويُعد النواة لأجهزة الأمن السوفيتية KGB (( (Young, 2025) بوصفه أداة لحماية النظام الجديد ومواجهة خصومه، وهو ما عكس استمرار تقاليد العمل الأمني وإن اختلفت الأيديولوجيا والتوجهات السياسية.

### مجلة العلوم الأساسية

يتضح من الانهيار السريع لجهاز الأوخرانا، أن الأجهزة الأمنية مهما بلغت قوتها التنظيمية، تبقى مرتبطة بمدى استقرار وشرعية النظام الذي تخدمه، وعندما تتآكل تلك الشرعية وتدخل الدولة طور الانهيار، تفقد تلك الأجهزة قدرتها على أداء وظائفها، لتتحول من أداة للضبط والسيطرة إلى أحد ضحايا التحول الثوري ذاته، فلم يكن سقوط الجهاز مجرد تفكك لمؤسسة أمنية، بل كان مؤشراً على انهيار نموذج النظام القيصري القائم على الحكم المطلق والأمن السياسي، فقد أظهرت التطورات أن القمع وحده لم يكفي للحفاظ على نظام أفقر إلى الشرعية الشعبية والقدرة على التكيف مع التحولات الاجتماعية والاقتصادية المتسارعة، فضلاً عن أن نهاية جهاز الأوخرانا مثّلت نقطة انتقال من مرحلة النظام القيصري الذي اعتمد على القمع للحفاظ على النظام التقليدي، إلى مرحلة الدولة السوفيتية



التي وظفت الأجهزة الأمنية لترسيخ نظام ثوري جديد، وبذلك فإن دراسة مصير جهاز الأوخرانا لم تقتصر على فهم نهاية جهاز أمني فحسب، بل أسهمت في تفسير آليات انتقال السلطة وبناء النظام السوفيتي في أثناء القرن العشرين.

### الخاتمة:

أظهرت طبيعة دراسة تجربة جهاز الأوخرانا ودوره في حماية النظام الإمبراطوري الروسي (١٨٨١-١٩١٧)، جملة من النتائج الرئيسة وهي على النحو الآتي:

١. بيّنت دراسة جهاز الأوخرانا أنه لم يكن مجرد مؤسسة أمنية عابرة، بل كان تجسيدا لطبيعة النظام القيصري ذاته، التي كانت قائمة على الحكم المطلق والرقابة السياسية وجاءت مع تصاعد النشاط الثوري في أواخر القرن التاسع عشر، إذ مثل الجهاز أداة مركزية لحماية النظام عن طريق المراقبة والاختراق والاعتقال، واستطاع لمدد طويلة إبطاء انتشار الحركات المعارضة والحفاظ على تماسك السلطة.

٢. كشف تطور المجتمع الروسي مطلع القرن العشرين وتسارع التحولات الاقتصادية والاجتماعية حدود النموذج الأمني التقليدي، فقد أدى التوسع الصناعي وتنامي طبقة عاملة واعية سياسياً إلى نشوء حركة جماهيرية كان من الصعب احتواؤها بالوسائل القمعية وحدها، وهو ما برز بوضوح في أثناء ثورة ١٩٠٥ التي شكّلت أول اختبار حقيقي لقدرة الجهاز على مواجهة احتجاجات واسعة النطاق.

٣. أوضحت دراسة دور جهاز الأوخرانا في حماية النظام القيصري أن الأجهزة الأمنية مهما بلغت قوتها، لا تستطيع إنقاذ نظام فقد قدرته على التكيف مع التحولات الاجتماعية والسياسية، فقد حاولت تلك المؤسسة حماية الحكم المطلق عبر طرق عدة، إلا أنها برزت درساً تاريخياً مهماً مفاده، أن الاستقرار الحقيقي لا يتحقق بالقوة وحدها، بل بقدرة الدولة على الإصلاح والاستجابة لمطالب المجتمع.

٤. أظهرت الحرب العالمية الأولى تفاقم وهشاشة النظام القيصري وسرّعت عملية التآكل الداخلي، إذ أدت الخسائر العسكرية والانهايار الاقتصادي إلى تفويض شرعية النظام وإضعاف مؤسساته، بما في ذلك الجهاز الأمني نفسه ولا سيما جهاز الأوخرانا. ومع اندلاع ثورة شباط/فبراير ١٩١٧، انهارت



البنية التي استند إليها الجهاز، فتفكك بسرعة مع سقوط الحكم القيصري، الأمر الذي دلّ على أن فعالية الأجهزة الأمنية ارتبطت بوجود دولة مستقرة قادرة على دعمها سياسياً ومادياً.

٥. لم يؤدّ انهيار جهاز الأوخرانا إلى نهاية دور الأمن السياسي في روسيا السوفيتية بعد ثورة أكتوبر ١٩١٧، بل أعيد إنتاجه في إطار جديد عن طريق تأسيس جهاز التشيكا، مما عكس استمرارية تقاليد الدولة الأمنية رغم التحول الأيديولوجي الجذري. وبذلك انتقلت وظيفة الأمن من حماية النظام القيصري إلى حماية السلطة الثورية، مع بقاء أدوات الضبط والمراقبة جزءاً أساسياً من بنية الدولة.

٦. قدّمت تجربة جهاز الأوخرانا نموذجاً تفسيرياً لفهم العلاقة الجدلية بين الدولة والأمن والمجتمع في التاريخ الروسي الحديث، إذ بيّنت أن القمع قد أبطأ الانفجار الثوري، إلا أنه لم يمنع حدوثه عندما تراكمت الأزمات الهيكلية، فضلاً عن أن انهيار الأجهزة الأمنية غالباً ما يكون نتيجة لانهيار النظام الذي تخدمه لا سبباً له. ومن ذلك المنظور، مثّل جهاز الأوخرانا حلقة انتقالية بين دولتين مختلفتين في الشكل والأيديولوجيا، لكنهما اشتركتا في الاعتماد على الأمن السياسي كونه أداة مركزية للحكم.

٧. أعطت دراسة جهاز الأوخرانا مثالاً تاريخياً على أن الأمن السياسي لا يمكن أن يكون بديلاً عن الشرعية السياسية، فقد أسهمت سياسات النظام القيصري القمعية في زيادة الاحتقان الاجتماعي، وبذلك أدت تلك السياسات إلى إضعاف الشرعية السياسية للنظام واعتماده على القوة بدل الرضا الشعبي، مما تسبب في تفكك الثقة بين النظام القيصري والمجتمع الروسي.

مجلة العلوم الأساسية  
مصادر البحث: التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الأساسية

أولاً: الوثائق المنشورة:

\* وثائق وكالة المخابرات المركزية الأمريكية:

1. central Intelligence Agency, Kronenbitter, Rita T., The Okhrana's Female Agents: Part I: Russian Women, Document Type: Technical Report, NTIS Issue, No.199808, Washington, (22 SEP,1997).
2. CIA, Okhrana: The Paris Operations of the Russian Imperial Police, Paris Okhrana 1885-1905 Approved for Release Cia Historical Review Program, (22 Sep 93).



3. CIA, Okhrana: The Paris Operations of the Russian Imperial Police, Center for the Study of Intelligence Library of Congress, Washington,( 14 Jan, 2013).
4. \*وثائق منظمة إرادة الشعب الروسية:
5. "Narodnaya Volya", Degaevshchina; The process of 14.S.-Petersburg: S.M. Propper, 1907, Political, Historical and Popular Scientific Library for Self-Development, Vol. 82, Historical Library, Vol. 27, 2nd p. from. 1697-1759.

\*وثائق الأرشيف الروسي:

1. Государственный архив Российской Федерации, ф. 102, (5-e делопроизводство) оп. 127-153 и 304 (1880-1917).

ثانياً: الأطروحات والرسائل:

\*الأطروحات والرسائل الإنكليزية:

1. Bryson, J., Fighting War and Revolution: State Security in Imperial Russia, 1914-1917, Ph. D thesis, University of Exeter, 2025.
2. Johnson, Richard J., The Okhrana Abroad, 1885-1917: A Study of International Police Cooperation, Ph. D thesis, Columbia University, 1971.

\*الأطروحات والرسائل العربية:

١. شيماء علي عواد الدودان، روسيا القيصرية في عهد القيصر نيقولا الثاني ١٨٩٤ - ١٩١٧ : دراسة في السياسة الداخلية والخارجية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات التاريخية، جامعة البصرة، ٢٠١١.
٢. علاء محمد جهاد الخفاجي، سياسة روسيا الخارجية في عهد القيصر الكسندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، ٢٠١٨.
٣. قابل محسن كاظم الركابي، لينين ودوره السياسي في روسيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط، ٢٠١٧.



ثالثاً: الكتب:

\*الكتب الإنكليزية:

1. Abbott, Robert J., Policemen of the Tsar, Local Police in an Age of Upheaval, Historical Studies in Eastern Europe and Eurasia, Vol. VIII, (Central European University Press, 2022).
2. Andrew, Christopher & Gordievsky, Oleg, KGB : The inside story of its foreign operations from Lenin to the inside story of its Foreign Operations from Lenin to Gorbachev, (New York, 1990).
3. Channon, John, with Rob Hudson, The Penguin Atlas of Russia, (London: Penguin, 1995).
4. Dziak, John J., Chekisty: A History of the KGB, (Lexington, MA: Lexington Books D.C. Heath and Company, 1988).
5. Elwood, Ralph Carter, Roman Malinovsky: A Life Without a Cause, Newtonville, (Massachusetts, U.S.A.,1977).
6. Figes, Orlando, A People's Tragedy: The Russian Revolution: 1891-1924, (Penguin Publishing House,1998).
7. Fischer, Ben B., Okhrana: The Paris Operations of the Russian Imperial Police, Studies in Intelligence Anthology, (Center for the Study of Intelligence, Central Intelligence Agency,1997).
8. Fuller, W.C., Civil-Military Conflict in Imperial Russia 1881-1914, (Princeton, 1985).
9. Geifman, Anna, Thou Shalt Kill: Revolutionary Terrorism in Russia, 1894-1917, (Princeton UP, 1993).
10. Geoffrey, Cubit, The Jesuit Myth: Conspiracy Theory and Politics in Nineteenth Century France, (Oxford, 1993).



11. Hingley, Ronald, The Russian Secret Police Muscovite, Imperial Russian and Soviet Political Security Operations 1565–1970, (Rutledge Library Editions, 1970).

12. Lauchlan, Iain, Russian Hide and Seek The Tsarist Secret Police in St Petersburg, 1906–1914, Suomalaisen Kirjallisuuden Seura Finnish Literature Society, (Helsinki 2002).

13. Minea–Pic, Guillaume, Sumpf & Alexandre, Okhrana: La police secrète des tsars 1883–1917, (Paris, 2022).

14. Pipes, Richard, The Russian Revolution, (New York: Alfred A. Knopf, 1990).

15. Service, R., A History of Twentieth–Century Russia, (Cambridge, Harvard University Press, 2003).

16. Silver, Boris, The Russian Worker's Own Story, (London, 1938).

17. Smith, Edward Ellis & Lednicky, Rudolf, "The Okhrana": The Russian Department of Police, (Stanford: Hoover Institution, 1967).

18. Thatcher, Ian, Late Imperial Russia: Problems and Prospects, (Manchester University Press, Manchester and New York, 2005).

19. Wolfe, Bertram D., Three Who Made a Revolution: A Biographical History (Boston: Beacon Hill Press, 1955).

20. Zhukhrai, V.M., Provokatory: Tainy tsarskoi okhranki: avantiuristy I provokatory, (Moscow, 1991).

21. Zuckerman, Fredric S., The Tsarist Secret Police in Russian Society 1880–1917, (London, 1996).

\*الكتب الروسية:

1. Сизенко, Андрей Григорьевич, Все о спецслужбах России и СССР, (Владис, 2010).



\*الكتب العربية:

١. أحمد موثقي، الشَّعبوية السياسية وظروفها التاريخية والاجتماعية، مركز البيدر للدراسات والتخطيط، بغداد، ٢٠١٥.
٢. حسان عمران، الثورة الروسية من التعثر الى النهوض (١٩٠٥-١٩١٨)، سلسلة من التقارير والبحوث عن أبرز الأحداث التي أثرت في مسار التاريخ، الإصدار الثاني في سلسلة تجارب، إدراك للدراسات والاستشارات، ٢٠١٦.

رابعاً- البحوث والدراسات:

\*البحوث والدراسات الإنكليزية:

1. Daly, J. W., On the Significance of Emergency Legislation in Late Imperial Russia, Slavic Review, Vol.54, No.3, 1995.
2. Jonathan, w. Daly, Autocracy under Siege: Security Police and Opposition in Russia, 1866-1905, Canadian Slavonic Papers, Revue Comedienne des Salivates, Vol. 43, No. 1, 2001.
3. Kotkin, Stephen, "Review: 1991 and the Russian Revolution: Sources, Conceptual Categories, Analytical Frameworks", The Journal of Modern History ,The University of Chicago Press, Vol. 70, No. 2, 1998.
4. Spiridovich, A.I., 'Pri tsarskom rezhime,' Arkhiv Russkoi Revoliutsii, vol.15, No.19, 1925.
5. Waldron, Peter, Russia and Emergency Legislation During the first world war, First world war Studies, University of East Anglia, UK, Vol. 14, No. 1, 2023.
6. Weissman, Neil, Regular Police in Tsarist Russia, 1900-1914, The Russian Review, Vol.44, No.1, 1985.
7. Yaney, George, Bureaucracy as Culture, Association for Slavic, East European, and Eurasian Studies, Vol. 41, No.1, 1982.

\*البحوث والدراسات الروسية:

1. Иванов, А.А., & Манян Н.М., Историография тайной полиции Российской империи конца XIX – начала XX века, Известия Лаборатории древних технологий, Иркутский государственный университет, Россия, Т. 19, № 4, 2023.
2. Кудин, В.А., От полиции Российской империи к полиции Российской Федерации: два века истории, Вестник Санкт-Петербургского университета, МВД России, № 2, 2011.



\*البحوث والدراسات العربية:

١. إيناس سعدي عبد الله، الجيش الأبيض ودوره في الحرب الأهلية الروسية ١٩١٧-١٩٢٢، مجلة المستنصرية للعلوم الإنسانية، كلية التربية، المؤتمر العلمي السادس والعشرين للعلوم الإنسانية والتربوية، عدد خاص (١)، ٢٠٢٣.

٢. علي هادي المهداوي، القيصر ايفان الرابع ودوره في السياسة الروسية ١٥٣٣-١٥٨٤ دراسة تاريخية، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العدد ٢، ٢٠٢٠.

سادساً: الموسوعات:

\*الموسوعات الإنكليزية:

1. Andreyev, Nikolay, The Oprichnina of Ivan the Terrible, Encyclopedia Britannica, (Jan 20, 2026).
2. Michael T. Florinsky, Alexander III, Encyclopedia Britannica, (Dec 04, 2025).
3. Young, Grace, Cheka Soviet secret police, Encyclopedia Britannica, (Jan 24, 2025).

\*الموسوعات السوفيتية:

1. prohrov, A.M., Sovetskii entsiklopedicheskii slovar, (Moscow, 1983).